العلاقات التجارية بين مدن الشرق الجزائري والدول الأوروبية خلال القرن الثامن عشر

Trade relations between eastern Algerian cities and European countries during the eighteenth century.

ط.د/ بن عمارة، زوينة

جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس الجزائر

benamarazouina7@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/04/09 تاريخ القبول: 2022/11/04 تاريخ النشر: 2022/11/30

ABSTRACT :

This study aimed to understand the reality of commercial relations between the cities of the Algerian East and European countries during the eighteenth century; which manifested itself in several forms and manifestations, mainly due to the distinguished position of Algeria, so that it had the upper hand in the Mediterranean basin, and this is due to the important potential it enjoys, including, in particular, what is famous for its various eastern coastal cities, such as Annaba, Bejaia, Jijel, El Kul and El Kala, these cities whose natural and agricultural wealth varied, such as grains of various kinds, such as wheat, in addition to other products such as leather, coral, wax, wool, knowing that the ports of these cities witnessed a wide movement and activity during this period, which made the various European countries that have interests in the Mediterranean basin, such as France, Britain, the Netherlands and Spain, striving to obtain commercial exchanges with them, considering that these countries lacked the various basic materials that were abundant in the cities of the Algerian East, to achieve its goal, it sought to strengthen relations with Algeria to find influence within the Algeria territory by concluding peace and trade treaties, as well as appointing consuls to

represent it in these areas, in order to facilitate the process of accessing the ports of these cities, in addition to obtaining many concessions for the purpose of reviving and increasing its commercial resources, which has already been done. Accordingly, the eighteenth century witnessed the embodiment of European endeavors on the ground through the stability of its trade relations, this was evident in the diversity of exchanges and the establishment of many companies that played a major role in achieving the economic development of various countries, especially France and Britain, which had the privilege of occupying a distinguished position within the Algerian territory.

Keywords: European countries; commercial relations; the eighteenth century; cities of the Algerian East; Bejaia; Britain; Jijel; France; wheat; commercial exchanges; coral, treaties; ports.

الملخص:

هدفت هذه الدراسة لفهم واقع العلاقات التجارية بين مدن الشرق الجزائري والدول الأوروبية خلال القرن الثامن عشر؛ والذي تجلى في عدة أشكال ومظاهر تعود بالأساس إلى المكانة المميزة للجزائر، بحيث كان لها اليد العليا في حوض البحر الأبيض المتوسط وهذا يعود للإمكانات الهامة التي تتمتع بها، منها بالخصوص ما اشتهرت به مختلف مدنها الشرقية الساحلية مثل عنابة، بجاية، جيجل، القل والقالة، هذه المدن التي تنوعت ثرواتها الطبيعية والزراعية مثل الحبوب بمختلف أنواعها كالقمح، إضافة لمنتوجات أخرى كالجلود، المرجان، الشمع، الصوف، مع العلم أن موانئ هذه المدن عرفت حركية ونشاط واسعين إبان هذه الفترة، الأمر الذي جعل مختلف الدول الأوروبية التي لها مصالح في حوض المتوسط كفرنسا، بريطانيا، هولندا وإسبانيا تسعى جاهدة للحصول على مبادلات تجارية معها باعتبار أن هذه الدول كانت تفتقر لمختلف المواد الأساسية التي كانت تزخر بها مدن الشرق الجزائري، ولتحقيق

هدفها سعت لتوثيق العلاقات مع الجزائر لإيجاد نفوذ لها داخل الأراضي الجزائرية عن طريق إبرام معاهدات سلم وتجارة وأيضا تعيين قناصل يمثلونها بهذه المناطق، وذلك من أجل تسهيل عملية ارتياد موانئ هذه المدن، إضافة للحصول على العديد من الامتيازات بغرض إنعاش وزيادة مواردها التجارية وهو ما تم فعلا.

وعليه، فقد شهد القرن الثامن عشر تجسيد المساعي الأوروبية على أرض الواقع من خلال الاستقرار الذي شهدته علاقاتها التجارية، وقد تجلى ذلك في تنوع المبادلات وإنشاء عديد من الشركات التي كان لها دور كبير في تحقيق التنمية الاقتصادية لمختلف الدول خاصة منها فرنسا وبريطانيا التي كانت لهما الحُظوة في احتلال مكانة مميزة داخل الأراضي الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: الدول الأوروبية؛ العلاقات التجارية؛ القرن الثامن عشر؛ مدن الشرق الجزائري؛ بجاية؛ بريطانيا؛ جيجل؛ فرنسا؛ قمح؛ مبادلات تجارية؛ مرجان؛ معاهدات؛ موانئ.

مقدمة:

يكتسي موضوع العلاقات التجارية بين مدن الشرق الجزائري والدول الأوروبية أهمية بارزة من الناحية التاريخية، إذ عرفت بخصوصيتها خلال القرن الثامن عشر، هذا وإن كانت جذورها تمتد للقرن الثاني عشر أو الثالث عشر مع بعض الدول الأوروبية حسب آراء بعض المؤرخين، وهذا راجع للمكانة الهامة التي تتميز بها الجزائر في حوض المتوسط، وأيضا لما تزخر به مدنها الشرقية الساحلية من ثروات طبيعية وزراعية متنوعة مثل الحبوب بأنواعها كالقمح، إضافة لمنتوجات أخرى كالمرجان، الجلود، الصوف والشمع، إلى جانب ذلك عرفت موانئ هذه المدن كميناء بجاية، عنابة، جيجل، مركز القالة وأيضا القل نشاط وحركية واسعة إبان هذه الفترة، الأمر الذي جعل أنظار مختلف الدول الأوروبية التي لها مصالح في حوض المتوسط تجه نحوها أملا في الحصول على تسهيلات وامتيازات بها، ولتحقيق ذاك الهدف بذلت جهودا

حثيثة من أجل إبرام معاهدات سلم وتجارة مع الجزائر لكي تستطيع تنشيط وتطوير تجارتها داخل الأراضي الجزائرية، وهو الأمر الذي تحقق فعليا خلال القرن الثامن عشر بحيث شهد تجسيد المساعي الأوروبية على أرض الواقع من خلال الانتعاش الذي شهدته العلاقات التجارية بين هذه الأطراف. من هذه المعطيات يتم طرح **الإشكالية** التالية:

هل ساهمت مدن الشرق الجزائري من خلال علاقاتها التجارية مع الدول الأوروبية في تنمية وتطوير الاقتصاد الجزائري خلال القرن الثامن عشر؟

وانطلاقا من هذه الإشكالية حُددت **فرضيات** إيجابية وأخرى سلبية كالتالي:

1- استفادت الجزائر من العلاقات التجارية في فرض إتاوات وضرائب على مختلف الدول الأوروبية التي كان لها مراكز تجارية أو قناصل بمدن الساحل الشرقي للجزائر، بحيث كسبت من ذلك مغانم جيدة ساهمت في تطور الاقتصاد الجزائري.

2- كان للجزائر حق فرض رسوم جمركية معينة على كل الدول الأوروبية فيما يخص السلع الواردة أو المصدرة داخل أو خارج الأراضي الجزائرية وكانت تختلف نسبتها تِبَعا لنوعية العلاقة إن كانت سلمية أو عدائية مع هذه الدول، وهذا الأمر ساعد على توفير مداخيل جيدة للإيالة.

3- ارتكزت صادرات مدن الشرق الجزائري على مواد أساسية هامة واستيراد مواد كان أغلبها مواد كمالية وهذا لم يكن في صالح الاقتصاد الجزائري.

4- كانت معظم العمليات التجارية تقوم بها الشركات الأجنبية، إذ لم يكن للجزائر أسطول تجاري خاص بها وهذا الأمر انعكس سلبا عليها.

تهدف هذه الدراسة إلى مجموعة نقاط منها:

– تسليط الضوء على مرحلة تاريخية هامة من تاريخ الجزائر ألا وهي الفترة الحديثة.

– إبراز الدور التجاري الهام الذي مثلته مدن الساحل الشرقي للجزائر، بفضل ما كانت تزخر به من ثروات طبيعية وزراعية متنوعة بحيث كانت محور اهتمام عديد من الدول الأوروبية التي كان لها مصالح في حوض البحر الأبيض المتوسط.

– الكشف عن جوانب القوة والتقدم الذي شهدته هذه المدن إبان تلك الفترة من أجل توظيفها خلال الوقت الراهن لاسترجاع نفس المكانة التي كانت تحتلها من قبل، من أجل دفع عجلة الاقتصاد الجزائري للأمام.

أما **المنهج المستعمل** في هذه الدراسة والذي يتناسب مع طبيعة هذا الموضوع هو **المنهج التاريخي** لأنه يعتمد على جمع المصادر والمراجع المتعددة ثم صياغتها بتركيبها وتحليلها وتكوين قطع منظمة من المعرفة التاريخية لإنشاء البحث بعد ربط الحقائق التاريخية المتوفرة.

1– الجذور التاريخية للعلاقات التجارية بين مدن الشرق الجزائري والدول الأوروبية:

عرفت الجزائر خلال القرن الثامن عشر تنامي لنفوذها وانتشار لعلاقاتها[1]، وبالخصوص على صعيد العلاقات التجارية بين مدن الشرق الجزائري والدول الأوروبية التي كان لها مصالح في حوض المتوسط، هذه العلاقات التي كانت تمتد بجذورها للقرن الثاني عشر أو الثالث عشر مع فرنسا كما أشار لذلك (Maitrot de la Motte-Capron)[2]، فالأخيرة كانت السباقة في خلق وجود لها بالمدن الشرقية التي كانت زاخرة بمختلف المنتجات، وليتأتى لفرنسا ذلك عملت على توطيد نفوذها بتلك المناطق فاتجهت لتأسيس ما يسمى بالقنصليات التي كانت وسيلة ضرورية لخلق جو مناسب يتم من خلاله تنمية العلاقات التجارية بين الطرفين، لكن المحاولات الأولى لم تنجح نظرا لمعارضة فكرة إقامة دائمة لممثل عن دولة مسيحية في الجزائر، وقد استغرقت العملية نحو خمسة عشر سنة بين الأخذ والرد بين الطرفين[3]، لتتخذ المسألة صفة رسمية في إنشاء قنصل فرنسي بالجزائر سنة 1564 [4]، وعلى الرغم من ذلك تم السماح لفرنسا

بإنشاء عدة مؤسسات تجارية كشركة (Bastion de France) سنة 1524 لتجارة المنتجات المحلية وصيد المرجان، وكانت تقع بالقرب من القالة[5]، مما جعل التجارة تزدهر بالحبوب والجلود والشمع والخيول بالمنطقة[6].

وإلى جانب فرنسا توجد بريطانيا التي سلكت نفس المبدأ، مع العلم أن السفن الانجليزية كانت ترفع العلم الفرنسي على سفنها بداية الأمر عند دخولها البحر المتوسط لقدم الامتياز الفرنسي في الدولة العثمانية، وقد اتسمت علاقة التجار الانجليز مع الجزائر بتبادلات تجارية كبيرة منذ سنة 1580 ميزها تصدير الأسلحة والبارود[7]، إضافة لبريطانيا هناك هولندا التي أثار اهتمامها المراكز التجارية التي يحتلها الفرنسيون في الساحل الشرقي للجزائر، لذلك سعت الأخيرة إلى وضع قناصل لها في مدينة الجزائر ابتداء من سنة 1616 [8]، وبجانب هذه الدول نجد إسبانيا التي تجسدت أولى مساعيها في هذا الجانب سنة 1785 بحيث عهدت الأخيرة إلى فرنسا من خلال المساعي الحميدة التي قام بها القنصل الفرنسي على إرسال بعثة إلى الجزائر لتتفاوض على السلام، والتنازل الذي يجب للمفاوضين الإسبان تقديمه هو إرجاع وهران والمرسى الكبير إلى الجزائر، وكان الاسبان يعتقدون أن ذلك لا يعني تخليهم عن أمر كبير إذا استطاعوا أن يؤمنوا بعد ذلك مركزا تجاريا مع تنازلات شبيهة بتلك التنازلات التي حصل عليها الحصن الفرنسي في البايلك الشرقي[9].

2- طرق المبادلات التجارية البحرية لمدن الشرق الجزائري:

شهد القرن الثامن عشر استكمال الجزائر لاستقلالها السياسي سنة 1792 بعدما استرجعت مدينة وهران من الإسبان، وكان للحادث تأثير كبير على اقتصاديات البلاد بما في ذلك تجارتها الداخلية والخارجية، وكما هو معلوم فالتجارة نوعان؛ داخلية تتم في الأسواق

المحلية، وخارجية وهي موضوع الدراسة تتم مع أوروبا عن طريق الموانئ[10]، والتي كان من أبرزها:

1.2– ميناء الجزائر: بنيت مدينة الجزائر على منحدر جبلي وهذا ما جعل أزقتها متدرجة يعلو بعضها البعض، وهذا التدرج في أزقتها مع البياض الناصع لمنازلها ذات السطوح المشرفة على البحر هو الذي يكسبها منظرا متميزا، أما الميناء فيتكون من قلعة حصينة تعرف ببرج فنار، ومن رصيف مبني بالحجارة يربط البرج بالمدينة، كما يوجد برج آخر في الطرف الأعلى من المدينة يعرف بحصن الامبراطور، إضافة لبرجين آخرين[11]، وقد اشتهرت المدينة بإنتاج الخضر والفواكه، زيت الزيتون الذي يصدر منه إلى الخارج[12].

2.2– ميناء عنابة: تعتبر من أهم الموانئ الجزائرية، وتتميز المدينة بسهلها الجميل المغطى بأشجار البرتقال والعناب، وللفرنسيين بعنابة مركز تجاري يشتغل بتجارة الحنطة، الشعير، الخضار الجافة، الجلود، العسل والشمع، وهذا النشاط التجاري يعتبر عملا مربحا بالنسبة لمقاطعة بروفانس الفرنسية[13].

2. 3– مركز القالة: عبارة عن شبه جزيرة ضيقة تتشكل من لسان صخري ممتد بموازاة الشاطئ، ويتصل بالبر عن طريق معبر ضيق من الجهة الشرقية مما يشكل مع الساحل المقابل ميناء طبيعي يتراوح عرضه بين 50 و 100م، تحول في العهد العثماني لمحطة تجارية للشركات الفرنسية التي حصلت على امتيازات الصيد واستخراج المرجان وتصدير الحبوب والمواد الخام مقابل إتاوات سنوية تدفعها لديوان الجزائر[14].

2. 4– ميناء جيجل: تتميز المنطقة بغناها بأشجار الفاكهة كالتين والمكسرات، أما عن سكان المنطقة فيعملون في الزراعة وإنتاج الحبوب، إضافة للقنب والكتان، وكانوا يقومون بتجارة كبيرة مع الأجانب فيما يتعلق بالجلود، الشمع والعسل، كما يوجد للمدينة ميناءان؛ واحد في

الجنوب والآخر في الشمال[15]، وعن المدينة يقول **(Dapper Olfert)**: (تعتبر جيجل مركز تجاري هام من خلال تجارة الفرنسيين هناك للحصول على الجلود والشمع).

2. 5– ميناء بجاية: يقول عنها **(Dapper Olfert)** (بأنها تتوفر على فاكهة ممتازة، إضافة لغناها بأشجار الجوز والتين والمكسرات)[16]، تعمل قبائل المنطقة في استغلال معدن الحديد الذي تنتج منه خاما جيدا وبأسعار منخفضة، كما أن لديها واحدا من أفضل الموانئ على الساحل الإفريقي، وعلى هذا الأساس قام العديد من الدول بإبرام معاهدات معها كمرسيليا بحيث كان لديها بميناء بجاية قنصل ومستودع للبضائع[17].

2. 6– ميناء القل: تعتبر مدينة كبيرة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط عند قدم جبل شاهق، وهي مليئة بالصناع وتجارتهم رابحة، لأنهم يجنون من جبالهم الكثير من الشمع ويمتلكون كمية كبيرة من الجلود[18]، كانت تتواجد بها أهم المؤسسات الفرنسية[19].

3– صادرات وواردات مدن الشرق الجزائري مع الدول الأوروبية:

3. 1– الصادرات:

3. 1. 1– القمح: أخذت الحبوب موقعا هاما ضمن الصادرات، وكان الشرق الجزائري من أكثر المناطق تصديرا لها، واعتبرت فرنسا المستورد الرئيسي للحبوب الجزائرية، وهي صاحبة الامتياز في الشرق[20]، في هذا الشأن يشير **(Henry Garrot)** إلى أن المؤسسات الفرنسية تمكنت من الشحن إلى مرسيليا ولوهافر خلال سنتي 1701-1709 ما يصل إلى 200 ألف هكتار من القمح سنويا[21]، وخلال سنة 1788 تم تصدير 150 ألف حمولة من القمح والشعير والخضروات من طرف كل من عنابة، الجزائر، أرزيو، ميناء معسكر ودلس، وتجدر الإشارة إلى أن عملية تصدير مادة القمح لا تتم إلا بإذن خاص من الداي[22]، كما لم تقتصر

عملية تصدير الحبوب على مرسيليا فحسب ولكن شملت أيضا برشلونة بإسبانيا وليفورن بإيطاليا[23].

3. 1. 2– الصوف: يشير **(Venture de Paradis)** إلى أن هذا المنتوج عرف ارتفاعا ملحوظا خلال القرن الثامن عشر، وكان يصدر سنويا ميناء الجزائر للدول الأوروبية من 7 إلى 8 آلاف قنطار وتكون أغلب هذه الكمية من بايلك تيطري، وقد احتكرت شركة إفريقيا الفرنسية أصواف بايلك الشرق وتصدرها من عنابة التي يخرج منها سنويا ما بين 10-12 ألف قنطار.

3. 1. 3– الشمع: يوضح **(Venture de Paradis)** بأن مملكة الجزائر توفر الكثير من الشمع والعسل، ويصدر سنويا من ميناء الجزائر للدول الأوروبية حوالي 3-400 قنطار[24].

3. 1. 4– الجلود: كانت الجزائر خلال القرن الثامن عشر غنية بالجلود، كما اعتبرت تجارة الجلود واحدة من أنشطة التهريب الرئيسية للشركة الفرنسية **(Compagnie d'Afrique)**، وقد اعتبرت القل السوق الرئيسية لهذا المنتوج باعتبارها أول منطقة شراء وشحن، وخلال سنتي 1741-1765 تم تصدير كمية كبيرة منه من طرف كل من القالة، عنابة والقل[25].

3. 1. 5– المرجان: يتواجد بسواحل القالة وكذلك عنابة التي تحوي كميات كبيرة منه على طول شريطها الساحلي والذي سمي بساحل المرجان، حيث أصبح وجهة للأوروبيين خاصة الجنويين الذين كانوا أول من احتكر صيد المرجان على طول ساجل عنابة.

3. 2– الواردات: تستورد الجزائر مواد متنوعة عبر مختلف موانئها[26]، وفي هذا الشأن يشير المستشرق الفرنسي **(Venture de Paradis)** إلى الوضع التجاري العام للجزائر خلال سنة 1789؛ إذ أنه كان يستورد من مرسيليا ما بين 5-6 حمولة من السكر، البن، الحديد، الورق،

الحرير والقرنفل، إضافة إلى أقمشة من ليون ومناديل حريرية من كاتالونا، كما يتم الحصول على الكتان والمناديل الحريرية والقهوة والسكر والبقالة من فرنسا وليفورن[27]، وكان استيراد المنسوجات بمختلف أنواعها يتم عن طريق تجارة الموانئ ويسوق عبر القوافل إلى المناطق الداخلية، بحيث كانت الأقمشة الأوروبية تصل إلى بايلك الشرق عن طريق تجار تونس[28]، كما يتم الاستيراد من جنوة البلور والزجاج والمرايا والتوابل[29]، أما العتاد الحربي فيأتي من اسكندنافيا، والرصاص والأقمشة القطنية من إسبانيا، ويأتي من انجلترا السكر والقهوة والأقمشة[30]، إضافة للمدافع والعتاد الحربي، ومن هولندا الآجر والزليج الثمين[31].

وما تجدر الإشارة له في هذا الشأن أن الحركة التجارية في الموانئ الجزائرية كانت ترتكز على تصدير مواد أولية هامة واستيراد مواد أغلبها كمالية، وهذا لم يحقق لها الأرباح المطلوبة، كما أن النشاط الجزائري لم يقتصر بدرجة أولى على التجارة نظرا لعدة عوامل كالسيطرة الفرنسية على التجارة ووضع معرقلات أمام أي منافس أمامها وهذا راجع للامتيازات التي حظيت بها مؤسساتها المتمركزة في مدن الشرق الجزائري، فضلا عن انشغال معظم الأسطول الجزائري بالجانب الحربي أكثر منه بالتجاري.

4- مظاهر العلاقات التجارية بين مدن الشرق الجزائري والدول الأوروبية:

أثارت الامتيازات التي حصلت عليها فرنسا في وقت مبكر بمدن الشرق الجزائري أطماع الدول الأوروبية للحصول على نفس المكانة وبالخصوص خلال فترة القرن الثامن عشر والجزائر لها اليد العليا في البحر الأبيض المتوسط، بحيث كان على هذه الدول كسب ود الأخيرة لتأمين تجارتهم البحرية في حوض المتوسط وهو ما تم بالفعل، إذ تمكنت عدة دول أوروبية أن تعقد السلام مع الجزائر إبان هذه الفترة[32]، من أجل إيجاد نفوذ لها لدى هذه الأخيرة وكان أولها فرنسا، في هذا الشأن يقول **(Jacob)**: (إن فرنسا لم تنحني أبدا بمفردها

لتكريم الجزائر، كما أن هداياها كانت دائما رائعة، إذ كانت سياسة بارعة كسبوا من خلالها حظوة الأفراد الذين مثلوا السلطة الجزائرية)[33]، مع العلم أن العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا خلال القرن الثامن عشر انحصرت بين موانئ الجنوب الفرنسي وموانئ الشرق الجزائري، وهذا راجع إلى أهمية تجارة المرجان بالساحل الشرقي، إضافة إلى وفرة الانتاج الفلاحي والرعوي فضلا عن تمركز المؤسسات الفرنسية بالمنطقة[34]، إلى جانب هذا تم إبرام عدة معاهدات بين الجزائر وفرنسا، حصلت فيها الأخيرة على مساعدات هامة تمثلت في تجديد صلاحية جميع المعاهدات المنعقدة قبل الثورة الفرنسية[35]، وهذا ما أشار له **(E. Rouard de Card)** الذي ميز بين مجموعتين من المعاهدات؛ معاهدات السلام والتجارة وعددها ثمانية ومعاهدات متعلقة بالامتيازات وعددها تسعة عشر[36].

أما بخصوص بريطانيا فقد بنت علاقتها مع الجزائر على تحقيق المصالح وترسيخ النفوذ على حساب المصالح الفرنسية، بحيث حاولت تعكير أجواء العلاقات الفرنسية الجزائرية عن طريق قناصلها هناك وذلك بسبب منافستها لفرنسا بشأن الحصول على الامتيازات داخل الأراضي الجزائرية واستمرت على ذلك النهج طوال القرن الثامن عشر[37]، ومن أمثلة ذلك عندما حصل مواطن فرنسي على إذن من الباي سنة 1724 لإنشاء مركز تجاري بوهران في وقت واحد مع الإنجليز الذين دفعوا ثمنا باهضا مقابل توفير حامياتهم في ميناء جبل طارق[38]، من جهة أخرى يمكن الإشارة إلى العلاقة الودية بين بريطانيا والجزائر من خلال رفض الأخيرة عقد معاهدة سلام مع الولايات المتحدة الأمريكية إرضاء لبريطانيا[39]، أما ما يتعلق بالعلاقة مع هولندا فلم تكن بنفس المستوى مثلما عليه الحال مع فرنسا، ومن ذلك ما حدث بتاريخ 3 ماي 1724 أين استقبل القنصل الفرنسي بترحيب حار بالجزائر ووعد رسمي باحترام المعاهدات المبرمة مع فرنسا، وفي نفس اليوم جاء سرب هولندي للتفاوض على السلام مع الجزائر، لكن

الأخيرة رفضت استقبالهم، الأمر الذي أدى بالسرب الهولندي للإبحار مرة أخرى[40]، وحول معاهدات السلام التي كانت تعقد فكانت تتضمن بنودا تنص على أن يتم تقديم مواد معينة للجزائر، فهولندا كانت تدفع سنويا 10.000 سكين ترسل على شكل بضائع تم الاتفاق على ثمنها[41]، وخلال منتصف القرن أرسلت هولندا للجزائر كميات هامة من البارود والرصاص والقذائف[42]، أما ما يخص العلاقة مع إسبانيا فقد عقدت معاهدة مع الجزائر سنة 1786 تم الاتفاق فيه على الجلاء من وهران ومرسى الكبير، وقد كانت إسبانيا تريد الحصول على امتيازات تجارية خاصة في المنطقة الغربية، وقد مكنت الاتفاقية المبرمة سنة 1791 الحق لإسبانيا في تأسيس منشأة تجارية في نواحي مرسى الكبير مقابل سداد سنوي يبلغ 107.000 ريال صغير، علاوة على ذلك تمكن الاسبان من نيل حق صيد المرجان على طول الساحل الغربي والولوج لميناء مرسى الكبير، كم حصلت على حق شراء 1000 حمولة من القمح سنويا[43].

وبجانب إسبانيا تم إبرام عدة معاهدات سلمية مع دول أوروبية أخرى؛ منها ما تم مع إمبراطورية النمسا سنة 1727 تم تجديدها سنة 1748 ومع السويد سنة 1729، ومع الدانيمارك سنة 1746، ومع البندقية سنة 1746 [44]، كما نجحت إنجلترا سنة 1793 في إحداث تقارب بين الجزائر والبرتغال نتج عنه توقيع معاهدة هدنة[45].

كما تجدر الإشارة إلى أن معظم الدول في هذه الفترة كانت تحتفظ بقناصل لها في الجزائر، لكن بالمقابل كان واجبا عليها دفع رسوم معينة اتجاه الوصاية؛ فقد دفعت مملكة الصقليين جزية سنوية للداي قدرها 24000 **(piastres)**، وقدمت أيضا هدايا بقيمة 20000 **(piastres)**، أما سردينيا بواسطة مساعدة من إنجلترا فقد تحررت من كل جزية، إلا أنها دفعت مبلغ كبير عند قيامها بتغيير القنصل[46]، فضلا عن ذلك تم تحديد الهدايا التي يجب على البندقية والسويد والدانيمارك وهولندا تقديمها كل سنتين[47].

ومما كان ملاحظا على المعاهدات التي أبرمتها الجزائر مع الدول الأوروبية بأنها غنمت منها مكاسب جيدة؛ بحيث فرضت اللزمة التي كانت تدفعها بعض الدول للإيالة بالثروات الطائلة التي جلبتها للاقتصاد الجزائري، ومقابل الأملاك بالقالة وتجارة الفرنسيين والاسبان والإنجليز في مختلف الموانئ كانت الإيالة تربح من كراء الممتلكات والرخص ومراقبة الضرائب[48]، فضلا عن ذلك كانت هناك رسوم جمركية للسلع الواردة أو المصدرة، وهو ما أشار له (**Laugier de Tassy**) إلى أن الدول الأوروبية التي تعيش في سلام مع الجزائر تدفع 40 (**piastres**) أما الدول التي هم في حرب معها فيدفعون 80 **(piastres)**، وبخصوص رسوم دخول البضائع فقد حصل الإنجليز على تفضيل في هذا الخصوص منذ غزو وهران، إذ كانوا يدفعون نسبة 5 **%** دخول و2.5 **%** خروج، أما فرنسا فحصلوا على نفس التخفيض من خلال مادة تم إدراجها بمعاهدة السلام بتاريخ 26 جانفي 1718 الموقعة بين الجزائر وفرنسا، وقدرت عملية دفع الرسوم بنسبة 5**%** دخول و3**%** خروج[49]، ويتم تقاسم حقوق هذه الرسوم الجمركية وفقا لنسب معلومة بين الأشخاص المعنيين كل حسب رتبته ومكانته[50].

الخاتمة:

بناء على ما تقدم من معطيات في هذه الدراسة التي شملت واقع العلاقات التجارية بين مدن الشرق الجزائري والدول الأوروبية نخلص إلى ما يلي:

استطاعت مدن الشرق الجزائري احتلال مكانة مميزة من خلال ما كانت تزخر به من إمكانات هامة استقطبت بها انظار واهتمام دول أوروبية عديدة سعت جاهدة لإيجاد مكانة لها لدى هذه المناطق.

اعتمدت مدن الشرق الجزائري في صادراتها على مواد أولية هامة أما الواردات فكانت أغلبها عبارة عن مواد كمالية، إلى جانب ذلك اقتصرت معظم العمليات التجارية على الشركات الأجنبية وهذا الأمر لم يكن في صالح التجارة الجزائرية، فضلا عن ذلك تم إبرام معاهدات سلم وتجارة مع دول أوروبية عديدة مقابل حصول الجزائر على إتاوات معينة غنمت منها مكاسب جيدة.

وعلى العموم فقد ساهمت هذه المدن في بعث الاقتصاد الجزائري في جانب من جوانبه المختلفة ألا وهي التجارة التي عرفت تنوعا في المبادلات وكذا في مختلف المنتجات الأمر الذي أبرز غنى مدن الساحل الشرقي للجزائر وما تزخر به من ثروات طبيعية وزراعية معتبرة.

بناء على ما تقدم من نتائج يمكن تقديم المقترحات التالية:

ضرورة أن تحظى هذه المواضيع بمزيد من البحث خاصة وأن جل الدراسات كتبت بأقلام أجنبية، وهذا لم يف بحق بما كانت تتمتع به الجزائر ومختلف مدنها من إمكانات هامة إبان تلك الفترة، إضافة لذلك وجب إرجاع المكانة التي كانت تحتلها هذه المدن في وقتنا الحاضر خصوصا وأن كل الإمكانات متوفرة للرقي بالاقتصاد الوطني، ولا يتأتى ذلك إلا بتطبيق سياسة صارمة تقوم على العمل الجاد.

الهوامش:

1- Jacob. M, L'Algérie pittoresque histoire de la régence d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jour, partir ancienne, imprimerie de j.b paya-éditeur, Toulouse, 1843, p 200.

2- Maitrot de la Motte-Capron, Le sens géographique et le sens politique chez les Deys d'Alger, in la voix des Humbles, 17 années, N° 187, Alger, aout 1938, p 19.

3- عائشة غطاس، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619-1694)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1984-1985، ص ص 9-11.

4- Maitrot de la Motte-Capron, Le sens géographique et le sens politique chez les Deys d'Alger, Op-cit, p19.

5- E. Rouard de Card, Traites de la France avec les pays de l'Afrique du Nord Algérie-Tunisie-Tripolitaine-Maroc, A. pedone-éditeur, Paris, 1906, p 5.
6- Olfert Dapper, Description de l'Afrique content les noms, la situation et les confins de toutes les parties, leurs rivières, leurs villes et leur habitations, leurs plantes et leurs animaux ; les mœurs, les coutumes, la langue, les richesses, la religion et le gouvernement de les peuples, l'institut national des langues et civilisations orientales, Amsterdam, 1686, p 188.
7– سلوان رشيد رمضان، إشكالية العلاقات البريطانية–الجزائرية 1570–1816، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، المجلد 23، العدد1، جامعة تكريت، العراق، 2016، ص 120.
8– عبد القادر فكاير، علاقات الجزائر مع هولندا خلال الفترة العثمانية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، المجلد 1، العدد 1، جامعة معسكر، الجزائر، 2007، ص ص 187، 188.
9- جون. ب. وولف، الجزائر وأوروبا 1500–1830، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 408.
10– محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص ص 8–64–65.
11– ج. أو. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145ه–1732م)، تر: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2007، ص ص 35، 36.
12– صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830، دار هومة، الجزائر، 2002، ص ص 335، 336.
13– ج. أو. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145ه–1732م)، مصدر سابق، ص ص 81–94.
14– نفسه، ص ص 95، 96.
15- F. Hélie de la Primaudaie, Le commerce et la navigation de l'Algérie avant la conquête française, Extrait de la Revue Algérienne et coloniale, librairie de challamel ainé, Paris, 1860, p 113.
16- Olfert Dapper, Description de l'Afrique content les noms, la situation et les confins de toutes les parties, leurs rivières, leurs villes et leur habitations, leurs plantes et leurs animaux ; les mœurs, les coutumes, la langue, les richesses, la religion et le gouvernement de les peuples, Op-cit, pp 184-186.
17- F. Hélie de la Primaudaie, Le commerce et la navigation de l'Algérie avant la conquête française, Op-cit, pp 128-131-154.
18– الحسن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 45.

19- F. Hélie de la Primaudaie, Op-cit, p 105.

20– صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830، مرجع سابق، ص 342.

21- Henry Garrot, Histoire générale de l'Algérie, imprimerie p. crescenzo voutes baston nord, Alger, 1910, p 563.

22- Jean-Michel. Venture de Paradis, Alger au XVIII siècle, imprimeur libraire éditeur, Alger, 1898, p 21.

23– الطيب شنتوف، دراسات في تاريخ الجزائر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الجزائر، 2014، ص 74.

24- Jean-Michel. Venture de Paradis, Alger au XVIII siècle, Op-cit, pp 18-20.

25- Paul Masson, Histoire des établissements et du commerce Français dans l'Afrique Barbaresque 1560-1793 Alger-Tunis-Tripolitaine-Maroc, libraire hachette, Paris, 1903, pp 528-529.

26- صرهودة يوسفي، الاقتصاد والمجتمع في إيالة الجزائر 1700–1830، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري، الجزائر، 2017–2018، ص ص 165–184.

27- Jean-Michel. Venture de Paradis, Op-cit, pp 28, 29.

28- صرهودة يوسفي، الاقتصاد والمجتمع في إيالة الجزائر 1700–1830، مرجع سابق، ص 186.

29– عبد الحميد بن أبي زيان بن شنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، دار الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972، ص 92.

30- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792–1830)، ط3، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 38.

31- نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ الجزائر الحديث من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص 148.

32– جون. ب. وولف، الجزائر وأوروبا 1500–1830، مصدر سابق، ص 413.

33- Jacob. M, L'Algérie pittoresque histoire de la régence d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jour, Op-cit, p 200.

34- عائشة غطاس، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619–1694)، مرجع سابق، ص 103.

35– مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج2، ط2، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 121.

36- E. Rouard de Card, Traites de la France avec les pays de l'Afrique du Nord Algérie-Tunisie-Tripolitaine-Maroc, Op-cit, pp 5, 6.

37- سلوان رشيد رمضان، إشكالية العلاقات البريطانية-الجزائرية 1570-1816، مرجع سابق، ص 125.

38- Henry Garrot, Histoire générale de l'Algérie, Op-cit, p 565.

39- سلوان رشيد رمضان، مرجع سابق، ص 126.

40- Henry Garrot, Op-cit, p 565.

41- الطيب شنتوف، دراسات في تاريخ الجزائر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مرجع سابق، ص 110.

42- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص 223.

43- الطيب شنتوف، مرجع سابق، ص 100، 101.

44- جمال قنان، نظرة حول العلاقات الجزائرية الأوروبية في العصر الحديث 1500-1830، مجلة المصادر، الجزء 10، العدد 18، جامعة الجزائر، ص 25.

45- جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، 1997، ص 51.

46- Léon Galibert, L'Algérie ancienne et moderne depuis les premiers établissements des Carthaginois jusqu'à la prise de la smalah d'Abd-el-Kader, furne et C. libraires éditeurs, Paris, 1844, pp 239-242.

47- Jean-Michel. Venture de Paradis, Op-cit, p 144.

48- أندري برنيان-أندري نوشي-إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 157.

49- Jacques Philippe Laugier de Tassy, Histoire de royaume d'Alger avec l'état présent de son gouvernement de ses forces de terre et de mer de ses revenus, police, justice, politique et commerce, Amsterdam, 1725, pp 292, 293.

50- Jacques Philippe Laugier de Tassy, Histoire d'Alger et du bombardement de cette ville en 1816, 2 éditions, chez piltan-libraire, Paris, 1830, pp 296-298.